المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات

العدد الثالث والستين شهر (9) 2023

تطبيقات النظرية التوليدية التحويلية في سورة الفاتحة أنموذجاً

(Applications of Transformational Generative Grammar Theory in Sūrah al-Fātiḥah)

نور الأفيقة بنت محمد كمال

طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، عبد الحميد أبو سليمان كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

afiqah96kamal@gmail.com

الأستاذ الدكتور شمس الجميل بن يوب

قسم اللغة العربية وآدابها، عبد الحميد أبو سليمان كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

sjamili@iium.edu.my

الأستاذ الدكتور عاصم شحادة علي

قسم اللغة العربية وآدابها، عبد الحميد أبو سليمان كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا

muhajir4@iium.edu.my

الملخص

تتناول الدراسة تطبيقات النظرية التوليدية التحويلية في الآيات القرآنية. تسعى هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم التوليد والتحويل عند تشومسكي، ثم تحديد العلاقة بين مصطلح التوليد والبنية العميقة، ومصطلح التحويل والبنية السطحية، وبعد ذلك، البحث عن أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبنية السطحية، وهذا لكي نربط بين هذه المصطلحات الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي. وتقوم هذه الدراسة أيضاً بتطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة؛ إذ إن هذا التطبيق سيؤدي دوراً مهماً في مجال اللسانيات والدراسات القرآنية المعاصرة، في محاولة الربط بين القرآن الكريم والعلوم اللغوية الحديثة.

الكلمات المفتاحية: النظرية التوليدية التحويلية، التطبيقات، سورة الفاتحة.

Abstract

This study envisages examining the applications of Transformational Generative Grammar Theory (TGG) in Quranic verses. It also aims at identifying relationship between the theory of “generative” and the concept of “deep structure” as well as the theory of “transformation” and the concept of “surface structure”, where eventually it will unveil similarities and differences between them. The study adopts descriptive and analytical methodologies to explore the existence of the theory and the concepts in Sūrah al-Fātiḥah as well to reveal relationship between them (theory and concepts) in entire al-Qur’ān.

Keywords: Transformational Generative Grammar Theory (TGG), applications, Sūrah al-Fātiḥah

المقدمة

حينما نتحدث عن اللغة، سنربطها تلقائيًا بالعقل؛ إذن، فليس من الخطأ القول بأن اللغة هي مرآة العقل. وذهب نعوم تشومسكي Noam Chomsky، العالم اللغوي الغربي الحديث، إلى أن الإنسان يملك قدرة لغوية عقلية ابتكارية، تجعل استعماله اللغوي متجدداً باستمرار ومتحرراً من كل المثيرات، خارجية كانت أم داخلية، كما تمكنه من استعمال اللغة كوسيلة تفكير وتعبير ذاتيين (زكريا، 1986ب). وبناءً على ما سبق، جاء تشومسكي بفكرة الكفاية اللغوية والأداء اللغوي.

وقدم تشومسكي بناءً على هذه الفكرة، نظرية جديدة لقواعد اللغة المعروف بالنحو التوليدي التحويلي، أو النظرية التوليدية التحويلية. ومن هنا، يمكن التعبير إن مصطلح (النحو) و(النظرية) في هذا الصدد هما نفس الشيء، إذ يعتقد تشومسكي أن النحو التوليدي التحويلي هو نظرية لغوية تعتبر قواعد اللغة.

وقد قامت هذه النظرية على مبدأين كبيرين، هما: التوليد (Generative) والتحويل (Transformation)، وبمها سميت هذه النظرية؛ فالنظرية التوليدية التحويلية قد جعلت المجال الأساس للدراسة اللغوية هو وصف المعرفة اللغوية وليس السلوك اللغوي (عبابنة والزعبي، 2019)، إذ يرى تشومسكي بأن الإنسان له قدرة على إنتاج جمل لا حصر لها دون أن يكون قد سمعها من قبل (بوقرة، 2004)، بحيث اعتمد في تحليلها على النظرية التوليدية التحويلية.

وتعتبر النظرية التوليدية التحويلية طريقة جديدة لبناء الجمل، إذ ذكر تشومسكي أن هناك هيكلين متضمنين في بناء الجمل؛ **الأول:** البنية العميقة، أي: جانب عميق أصيل كامن في العقل، **والثاني:** البنية السطحية؛ أي: جانب سطحي يظهر بصورة منطوقة في الحالة الفعلية.

ومن هذا المنطلق، ستقوم الدراسة بتحديد مفهوم محدد للتوليد والتحويل عند تشومسكي، ثم بيان العلاقة بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبنية السطحية في النظرية التوليدية التحويلية، ثم الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة من جانب، والتحويل والبنية السطحية من جانب آخر. وفي الأخير، ستقوم الدراسة بتطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة.

مشكلة الدراسة

تعتبر النظرية التوليدية التحويلية من أبرز النظرية اللسانية الحديثة التي قدّمها تشومسكي، وكان لها دور مميّز في التحليل اللغوي للجمل المختلفة. وحينما نتحدث عن هذه النظرية التي اعتمدها تشومسكي في تحليل الجمل، سوف نتوقف عند مفهومي، البنية العميقة والبنية السطحية؛ إذ تبيّن أن لكل جملة جانبين؛ جانب عميق موجود في العقل، وآخر سطحي يظهر في العالم الواقعي بصورة منطوقة.

وقد لاحظت الباحثة أن معظم الدراسات يركزن على الجانب النحوي والصرفي في تحليل الآيات القرآنية، وعلى سبيل المثال: دراسة أديبولو بعنوان سورة الحج: دراسة نحوية وصرفية (أديبولو، 1995)، ودراسة العاني بعنوان سورة الكهف دراسة نحوية وصرفية (العاني، 2004)، ودراسة سيراغار بعنوان المفعول المطلق ودلالته في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية في سورة الواقعة (سيراغار 2022).

أما تناول النظرية التوليدية التحويلية في تحليل الآيات القرآنية قد يكون شيئاً حديثاً، وبخاصة ما يرتبط بالبنية العميقة والبنية السطحية، فلم تتناولها الدرسات السابقة، وإنما هذه الدراسات ركزت على البعد النحوي والصرفي فقط.

وبناءً على ما سبق، فإن إشكلية البحث تتحدد في اكتشاف مدى توافر النظرية التوليدية التحويلية في الآيات القرآنية.

أسئلة الدراسة

1. ما مفهوم التوليد والتحويل عند تشومسكي؟
2. ما العلاقة بين مصطلح التوليد والبنية العميقة، ومصطلح التحويل والبنية السطحية؟
3. ما أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبينة السطحية؟
4. كيف يتم تطبيق البنية العميقة والبينة السطحية في سورة الفاتحة؟

أهداف ادراسة

1. تحديد مفهوم التوليد والتحويل عند تشومسكي.
2. تحديد العلاقة بين مصطلح التوليد والبنية العميقة، ومصطلح التحويل والبنية السطحية.
3. البحث عن أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبنية السطحية.
4. تطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة.

أهمية الدراسة

1. محاولة الربط بين القرآن الكريم والعلوم اللغوية الحديثة.
2. تقديم توجيهات أكثر تحديداً في دراسة الآيات القرآنية.

منهج الدراسة

1. المنهج الوصفي؛ حيث ستقوم الباحثة بدراسة النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي، ثم الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة من جانب، والتحويل والبنية السطحية من جانب آخر.
2. المنهج التحليلي؛ حيث ستقوم الباحثة بتطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة.

أولاً: مفهوم التوليد والتحويل عند تشومسكي

يعتبر التوليد والتحويل مبدأين كبيرين في النظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي، لذلك، قبل بدإ الحديث عن التوليد والتحويل بالتفصيل، فعلينا التعرف بالنظرية التوليدية التحويلية أولاً.

ظهرت النظرية التوليدية التحويلية منذ سنة 1957م، أي: منذ أن نشر تشومسكي كتابه "البنى النحوية" أو "البنى التركيبية" (Syntactic Structure) (Chomsky, 2002)، وقد وضح تشومسكي في هذا الكتاب عدم كفاية نسق القواعد المركبية و اختار نمطا محددا من القواعد هو القواعد التحويلية. وفي سنة 1965م، أعاد تشومسكي صوغ صورة النحو في كتابه "مظاهر النظرية التركيبية"؛ وكان

تصور "مظاهر" للنحو نقطة انطلاق عدة نقاشات تجسدت في جملة من الانتقادات أدت إلى جملة من التعديلات (العربي، 2018).

وقدم تشومسكي هذه النظرية المعروف بالنحو التوليدي التحويلي (إذ يعتقد تشومسكي أن النحو التوليدي التحويلي هو نظرية لغوية تعتبر قواعد اللغة) بناءً على فكرة الكفاية اللغوية والأداء اللغوي، إذ يرى تشومسكي أن الكفاية اللغوية هي معرفة المتكلم – المستمع الضمنية بقواعد اللغة التي تتيح للفرد إنتاج الجمل وتأويلها (فهمها) في لغته التي قائمة في الذهن (خاليد، د.ت)، ويقول تشومسكي: " يجب أن نعتبر أن الكفاية اللغوية أي معرفة اللغة، هي بمثابة تنظيم مجرد مكون من قواعد تحدد الشكل والمعنى الأصلي لعدد غير متناهي من الجمل الممكنة" (زكريا، 1986ب، ص35)؛ أما الأداء اللغوي هو: "الاستعمال الفعلي للكفاية اللغوية داخل وضعيات ملموسة" (جونايير، 2005، ص30)، أي: تحقيق الكفاءة اللغوية في جمل وأقوال يمكن ملاحظتها بكيفية مباشرة ملموسة.

وانطلاقاً من هذا الاختلاف بين الكفاية اللغوية والأداء اللغوي، نجد أن تشومسكي قد جعل للجملة بناءين؛ أحدهما أسماه البناء العميق، والآخر أسماه البناء السطحي (حسنين، 1987)؛ وتقاس البنية العميقة بقوانين الكفاية اللغوية، والبنية السطحية تقاس بقوانين الأداء اللغوي، وبمعنى آخر: الكفاية اللغوية تخص البنية العميقة، والأداء اللغوي يخص البنية السطحية (بوعمامة، 1989).

فالنظرية التوليدية التحويلية في الحقيقة نظريتان متكاملتان، حيث تعتبر النظرية التوليدية عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل؛ أما النظرية التحويلية فتُعْنَى بتطبيق مجموعة من قواعد الحذف والاستبدال والإضافة وتغيير الموقعية على الجمل النواة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة.

والآن، سنقوم بتحديد مفهوم التوليد، وبعد ذلك تحديد مفهوم التحويل؛ فأخذ مفهوم التوليد (Generative) من معنى الكلمة: يولد أو يخلق، وقد أشار تشومسكي إلى هذا المفهوم وعرفه بأنه: القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقاً من العدد المحصور من القواعد في كل لغة، وفهمها، ثم تمييزها عما هو غير سليم نحوياً (العلوي، 2004). ومن هذا التعريف، يمكن القول إن التوليد له علاقة وثيقة بإنتاج الجمل من خلال القواعد اللغة، ويشترط فيها السلامة النحوية.

وكما عرف التوليد بأنه مصطلح موضح لقدرة الإنسان غير المحدود في إنتاج جمل نحوية لا حد لها، كما يشير إلى الدقة والوضوح المستفادين من مناهج العلوم الرياضية التي تأثر بها تشومسكي، وهذه القدرة التوليدية هي التي اصطلح عليها بالقدرة التحتية والتي تتمثل في البنية العميقة (النجار، د.ت). ومن هذا التعريف، نجد أن التوليد له علاقة بالبنية العميقة.

وحينما نتحدث عن التوليد، فلا بد علينا التحدث عن القواعد التوليدية (Generative rules)، وهي جزء من جهاز توليد الجمل، وقد عرفت القواعد التوليدية بأنها: التي تفسر العمل الخلاق الذي يتيح لناطق لغة ما أن يبدع عدداً لا متناهياً من الجمل استناداً إلى عدد متناه من القواعد (فاخوري، 1998). ومن هنا، يمكن القول إن القواعد التوليدية لها علاقة بفكرة الإبداعية التي كانت إحدى أسس قيام النظرية التوليدية التحويلية.

والقاعدة التوليدية قد تتمثل في مجموعة من القواعد الجزئية التي تقوم بإنتاج الجمل التوليدية، وهي تلك الجمل المكونة من عدد من الكلمات الرئيسة فيها، دون نقص أو زيادة (زكريا ومت صالح، 2007). وبتعبير آخر، الجملة التوليدية هي الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يمكن الاكتفاء به والوقوف عنه (عمايرة، 1984). فهذا التعريف يحدد الجملة التوليدية بالنظر إلى جانبين؛ الأول: التركيب، حيث تتكون الجملة من المسند والمسند إليه، وأن تتوافر أركانها؛ والثاني: الدلالة، حيث تحقق الجملة معنىً يحسن الوقوف عنده والاكتفاء به (عمايرة، 1984).

ويقول ميشال زكريا عن القواعد التوليدية: "وعملية الإنتاج هذه منوطة، في الأساس، بالقواعد التوليدية القائمة ضمن الكفاية اللغوية، والتي تؤدي في حال العمل بها إلى إنتاج الجمل التي بالإمكان استعمالها في اللغة أو إلى تعدادها" (زكريا، 1986أ، ص13). ومن هنا، نجد أن القواعد التوليدية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكفاية اللغوية.

ومن هذه التعريفات، نلاحظ أن هذه الأسس الثلاثة: الكفاية اللغوية، والقواعد التوليدية، والبنية العميقة هي قاعدة اللغوية الذهنية عند تشومسكي. ولعل تعدد تعريفات مصطلح التوليد، لكن تتفق في نقاط معينة: القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل، والقدرة على الحكم بصحة الجمل التي يسمعها من وجهة نظر نحوية تركيبية.

أما مفهوم التحويل (Transformation) (Baker, 1978)، فقد أخذ من التبديل والتغيير؛ والتحويل عند تشومسكي هو قدرة أهل اللغة على تحويل الجملة الواحدة إلى عدد كبير من الجمل (استيتية، 2008)؛ وذكر ميشال زكريا الملاحظة عن مفهوم التحويل، وهي كالتالي: "توجد في اللغة جمل يرتبط بعضها ببعض بصورة وثيقة، ولا يمكننا، من خلال دراسة عناصرها فقط، أن نلحظ الصلة القائمة بينها" (زكريا، 1986أ). ومن هنا، نجد أن التحويل يجري باشتقاق جملة أو مجموعة من الجمل من جملة النواة (kernel sentence) وهذه الجمل لهم علاقة بعضها ببعض.

وقد عرف التحويل أيضا بأنه: "عملية نحوية تجري على سلسلة تملك بنية نحوية وتنتمي إلى سلسلة جديدة، ذات بنية نحوية مشتقة؛ وإنه علاقة تربط بين تمثيل أولي مجرد (أي: البنية العميقة)، وتمثيل مشتق نهائي" (أي: البنية السطحية) (العلوي، 2004، ص56).

وحينما نتحدث عن التحويل، فلا بد علينا التحدث عن القواعد التحويلية (Transformational rules)، وقد تسمح القاعدة التحويلية بتحويل جملة توليدية معينة إلى جمل أخرى تؤدي المعنى ذاته لوجود صلة وثيقة بينها، وتسمى هذه الجمل المحوَّلة من الجملة التوليدية الجمل التحويلية (زكريا ومت صالح، 2007). وعلى سبيل المثال، تمثل الجملة التوليدية الفعلية "أكل محمدٌ التفاحةَ" البنية العميقة ذات المعنى المحدد، ويمكن التحوّل منها عدد من الجمل التحويلية، وهي: "محمدٌ أكل التفاحةَ"، و"التفاحةَ أكلها محمد"، و "لقد أكل محمد التفاحة". وعلى الرغم من تباين التراكيب، فإن الجمل التحويلية تؤدي المعنى نفسه.

وارتبط مصطلح التحويل ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية، فيمكن الاعتبار أن القواعد التحويلية هي القواعد التي يمكن بواسطتها تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة، والإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى عن طريق: الحذف، الزيادة، الاستبدال، التوسع، الاختصار، التقديم والتأخير، الاستفهام، النفي، البناء للمجهول (سالم، 2019).

ويمكن أن نلخص في هذا الصدد أيضا فكرة تشومسكي عن القواعد التحويلية، فيرى تشومسكي أن الجملة التي يتلفظ بها المتكلم تمر عند نطقها بمرحلتين متتابعين؛ الأولى منهما يتم فيها استخدام القواعد

الأساسية التي ترتبط بكفاية المتكلم ومعرفته المختزنة باللغة، والثانية من المرحلتين هي التي يتم فيها اللجوء إلى القواعد التحويلية، وهي قواعد مرتبطة بالأداء، فهي تعمل على تحويل التركيب الأساسي، الذي هو نتاج القواعد الأساسية التوليدية إلى جملة ذات طابع نحوي ونطقي ومعنوي نهائي، وقد سميت البنية الأولى للجملة بنية عميقة، فيما سميت الثانية بنية سطحية (السعدية، 2011). ومن هنا، يمكن القول إن القواعد التحويلية تربط البنية العميقة للجملة وبنيتها السطحية، وأيضاً تنتقل الجملة من المرحلة العقلية (البنية العميقة) إلى المرحلة الملموسة (البنية السطحية).

أما الوظائف التحويلية الرئيسة التي تدخل الجملة فتربط بين أجزائها، وتحول الجملة النواة إلى تحويلية، وتبقى الجملة في المعنى كما هي، وتستوي قبل دخول عناصر التحويل عليها وبعد أن دخلتها؛ لأنها تعبر عن البينة العميقة، ومن أهم عناصر التحويل التي قدمهت تشومسكي ما يأتي (علي، 2020، ص66-76):

1) الحذف (Deletion): يتم بموجب هذا القانون حذف كلمة أو عبارة من الجملة؛ فنقول مثلاً: (أكل محمد الخبز)، وبتحويلها إلى صيغة البناء للمجهول، يُحذف الفاعل وتصبح الجملة (أُكِلَ الخبزُ).
2) الزيادة (Addition): تتم عن طريق زيادة عناصر أخرى إلى الجملة النواة أو الجملة التوليدية تتمةً لها، وتلك العناصر الزائدة قد عبرّها النحاة بـ"الفضلات". وتأتي الفضلات بعد الجمل المفيدة، مثلاً: الحال، والتوابع، ومضاف إليه، واسم مجرور؛ فنقول مثلاً: (محمدٌ رسولٌ)، وإذا أردنا أن نؤكد الخبر فنقول: (إنَّ محمداً رسولٌ)، وإذا قصدنا زيادةً في التأكيد، قلنا: (إنَّ محمداً لرسولٌ)، وهذه الزيادة تكون في بداية الجملة، أو في وسطها، أو في آخرها (زكريا ومت صالح، 2007).
3) الإحلال (Replacement): يتم بوضع كلمة مكان أخرى، أو مكان تركيب آخر لأداء نفس الوظيفة النحوية، مع الحفاظ عبى مقبولية الجملة من الناحية الدلالية؛ كأن تجعل ضميراً محل اسم ظاهر، فتقول مثلاً: (قرأتُ المجلة)، فإذا قدّمت الجملة، تقول: (المجلةَ قرأتُها)، فيكون الضمير المتصل (ها) محل الاسم الظاهر المقدّم (الخولي، 1991).

4) التمدد أو التوسّع (Expansion): بتم بتفريع فيه الرمز الواحد إلى اثنين؛ فنقول مثلاً: (علمتُ شيئاً)، إذ يتم توسيع هذه الجملة بالقول: (علمتُ أنَّ محمداً سافر)، فتكون الجملة (أنَّ محمداً سافر) توسيعاً لكلمة (شيئاً).
5) الاختصار (Reduction): يتم تقلّص المكوّنَيْن واختصارهما فقط إلى مكوّن واحد؛ فنسأل مثلاً: (هل يمكن أن يأتي علي؟)، ويكون الإجابة عنها إما بجملة طويلة، أو بنعم ولا، وهذا يمثل الاختصار في التركيب؛ فيُحذف السؤال المكرر من جملة الإجابة ويُجاب بنعم أو لا.
6) التقديم والتأخير (Permutation): يتم بتغيّر مواقع بعض التراكيب بالتقديم والتأخير لغرض معنوي، بشرط ألا يُخلّ هذا التركيب الجديد بتركيب الجملة ومعناها في الجملة؛ فنقول مثلاً: (خرج القاضي من المحكمة مسرعاً أو مسرعاً خرج القاضي من المحكمة).

وتنقسم القواعد التحويلية إلى قسمين: قواعد وجوبية وقواعد جوازية (اختيارية)؛ وذلك كما يلي (حساني، 1999):

1) قواعد تحويلية وجوبية Obligatory: وذلك مثل حذف المسند في الجملة الآتية: (لولا زيد لأتيتك)، فالمسند مقدر في البنية العميقة بـ (موجود)، وقد حذف وجوباً؛ لأن توزيع (لولا) وتوزيع المسند إليه (زيد) بعد (لولا) يؤدي بالضرورة إلى حذف المسند.
2) قواعد تحويلية جوازية (اختيارية) Optional: وذلك مثل حذف المسند في الجملة الآتية: (خرجت فإذا السبع)، فالمسند مقدر في البنية العميقة بـ (حاضر)، وحذف المسند هنا كان جوازاً واختياراً.

ومن هذه التعريفات والأفكار المرتبطة بمصطلح التحويل، نلاحظ أن التحويل عند تشومسكي لا يقتصر على القواعد التحويلية، بل هو مرتبط بمفهومَيْ البنية العميقة والبنية السطحية، فهاتان البنيتان العميقة والسطحية هما الأساس في العملية التحويلية، كما يرتبط مفهوم التحويل عنده بشيء آخر وهو مفهومه للجملة وتصوره لآلية اشتقاقها في ذهن المتكلم.

ومن هنا، يمكن التعبير أن النظرية التوليدية التحويلية طريقة حديثة لبناء الجمل عند تشومسكي، وبنيتهما العميقة والسطحية تدور حول تحليل هذه الجمل. فلا يمكن أن نقوم ببناء الجمل دون تحليلها، فالتحليل ضروري ومهم جداً لفهم المقصود الحقيقي لجملة ما. لذلك، نربط النظرية التوليدية التحويلية ببنيتهما العميقة والبنية السطحية في تحليل الجمل.

ثانياً: العلاقة بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبنية السطحية

قبل أن نحدد هذه العلاقة، فلا بد علينا التحدث عن مفهوم البنية العميقة والبنية السطحية أولاً. إنَّ البنية العميقة (deep structure) هي من نتاج العناصر الأولية المغذية لكل من المكون النحوي والمكون الدلالي (حساني، 1999).

والبنية العميقة أيضا: "الأساس الذهني المجرد لمعنى معين، يوجد في الذهن، ويرتبط بتركيب جملي أصولي يكون هذا التركيب رمزاً لذلك المعنى وتجسيداً له، وهي النواة التي لا بد منها لفهم الجملة ولتحديد معناها الدلالي، وإن لم تكن ظاهرة فيها" (عمايرة، 1984، ص58)؛ لأن هذه البنية غالباً ما تمثل الجملة بطريقة تجريدية مظهرة كل العوامل التي تتحكم في كيفية تفسير معنى وتأويله (السعدية، 2011).

وقد عرفت أيضا بأنها: التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً؛ وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة، وإنها التركيب المستتر الذي يحمل عناصر التفسير الدلالي (العلوي، 2004، ص52-53).

ورغم تعدد تعريفات البنية العميقة، إلا أن معظمها تتفق في نقاط معينة: أن البنية العميقة هي الشكل الداخلي التفكيري (العضوي) للكلام، وهي المكون الأساسي لجهاز توليد الجمل في النظرية التوليدية في لغة ما ويكون ذلك على المستوى الدلالي.

ومن هنا، نجد أن البنية العميقة لها علاقة وثيقة بالتوليد، حيث تشكل البنية العميقة الشكل الداخلي التفكيري للكلام، والتوليد هي العملية التي تقع في الداخل، أي: دماغ المتكلم. لذلك، لا نستطيع الفصل بين البنية العميقة ومصطلح التوليد.

أما البنية السطحية (surface structure) هي البنية الظاهرية المادية المتمثلة في تتابع الكلمات التي ينطق بها المتكلم (زكريا ومت صالح، 2007). وتعتبر البنية السطحية أيضا التركيب الذي تظهر به الجملة بعد تطبيق بعض القواعد التحويلية على تركيبها الباطني؛ أو هي الجزء الملحوظ الظاهر في الجملة؛ أي: الرموز المجسَّدة والرموز الصوتية والمكتوبة، أو المقصود بها: ذلك التركيب الذي تظهر فيه الجملة بصورتها الحالية الفعلية؛ وأما العلاقة بين التركيب الباطني، والتركيب الظاهري فتسمى تحويلاً؛ لأنها تُحوِّل التركيب الباطني لجملة ما، إلى تركيب ظاهري جديد، ويُنظِّم هذه العلاقة ما يُعرف بالقواعد التحويلية (علي، 2020).

كما ذكرنا سابقاً، ترتبط البنية السطحية ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية في اللغة، فبها يتم انتظام الكلمات في جمل، يعبر بها المتكلم عن علاقة ذهنية مجردة (المعنى) بكلمات محسوسة منطوقة؛ مثلاً: (الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي)؛ فهذه جملة تحويلية، وهي البنية السطحية لمعانٍ ذهنية مجردة يمكن تمثيلها بالجمل النواة التالية: (الله لا يُرى/ العالم مرئي/ خلق الله العالم)؛ فيتم ربطها ببعضها، أو يتم تحويلها، لتظهر في الجملة التحويلية الكبرى: (الله الذي لا يُرى خلق العالم المرئي) (عمايرة، 1984).

ويمكن القول أيضا إن البنية السطحية هي نتاج المكون التحويلي، أي: استعمال القواعد التحويلية، وفي هذه البنية تمثل الجملة بطريقة ملموسة وواقعية مظهرة كل المورفيمات (الحرة المنفصلة، والمقيدة المتصلة)، والتي ترجع إلى ما سوف نسمعه إذا نطقنا تلك الجملة (السعدية، 2011).

ومن هنا، نجد أن البنية السطحية لها علاقة وثيقة بالتحويل، حيث تظهر البنية السطحية نتيجة تحويل البنية العميقة، والتحويل هي العملية التي تسمح بتحويل الجملة من مستوى البنية العميقة إلى مستوى البنية السطحية. لذلك، لا نستطيع الفصل بين البنية السطحية ومصطلح التحويل.

سنقف الآن على العلاقة بين التوليد والبنية العميقة من جانب، والتحويل والبنية السطحية من جانب آخر؛ وحتى نستكشف هذه العلاقة، فلا بد أن علينا الوقوف على حقيقة كل واحدة من البنيتين.

فللبنية العميقة صورتان في التحقق الذهني (استيتية، 2008):

أولاهما: أن يكون لها تحقق مادي موجود، في الاستعمالات اللغوية الجارية، على ألسنة أبناء اللغة، كما هو الحال في أقل عدد ممكن من الكلمات يكوّن جملة مثبة؛ على سبيل المثال: "الطقس معتدل". وتعتبر هذه الجملة: **توليدية** باعتبارها أساساً لكل ما يشتق منها، وهي أيضاً بنية عميقة.

وقد توصف الجملة التوليدية (الجملة الأصل) بأنها الجملة التي تؤدي معنى مفيداً، مع كونها أقل عدد ممكن من الكلمات، ومع كونها أيضاً خالية من كل ضروب التحويل؛ وعلى سبيل المثال: تكون جملة "جاء زيد" جملة توليدية، أما جملة "زيد جاء" فليست توليدية؛ فكونها أقل عدد من الكلمات، لم يجعلها توليدية؛ لأن فيها تقديماً وتأخيراً، وهما من وجوه التحويل؛ أما إذا أخذنا بقول من قال إنها جملة اسمية، لم تكن توليدية كذلك، لأنها ليست أقل عدد ممكن من الكلمات، فهي جملة مركبة من جملتين جملة المبتدأ والخبر، والجملة الفعلية (جاء هو) (استيتية، 2008).

ولا بد أن تتوافر في الحالتين (توليدية وبنية عميقة) صفات أربع، هي (استيتية، 2008):

1. أن تكون جملة بسيطة (Simple) غير مركبة؛ فإذا كانت مركبة نحو: "الكتاب موضوعه مفيد"، لم تكن بنية عميقة.
2. أن تكون مبنية للمعلوم (Active) لا مبنية للمجهول.
3. أن تكون مثبة (Affirmative) لا منفية.
4. أن تكون تقريرية (Determinate) لا إنشائية.

ثانيتهما: ألاَّ يكون للبنية العميقة تحقق منطوق؛ وعلى سبيل المثال: قولك: "المصنع قريب"؛ فالمعنى هو: مصنع + تعريف + وصف إخباري "قريب". وهذا هو المعنى الحقيقي لهذه الجملة؛ أي: تكون هذه هي البنية العميقة؛ وفي الواقع العادي، لا تنطق ذلك، بل تحققه بشيء آخر، فتقول: المصنع قريب. وعلى ذلك، تكون الجملة المنطوقة "المصنع قريب" هي البنية السطحية بهذا الاعتبار فقط؛ وعلى الرغم من هذا، فإن جملة "المصنع قريب" المنطوقة جملة توليدية لا تحويلية، مع كونها خالية من كل ضروب التحويل.

وهكذا تكون العلاقة بين التوليد والبنية العميقة مضطربة بعض الشيء، وكذلك العلاقة بينهما وبين التحويل والبنية السطحية.

وترى الباحثة أن هذه العلاقة تكون بالرسم التشجيري الآتي:

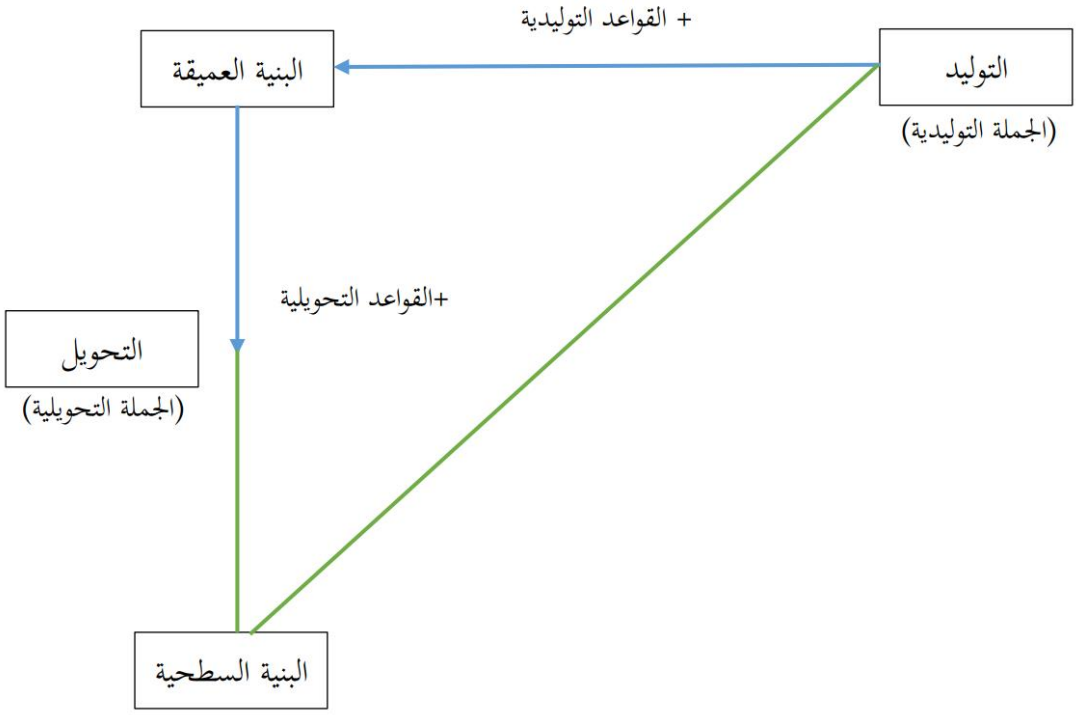

ومن هذا الرسم التشجيري، نلاحظ أن العملية لإنتاج الجمل تبدأ في ذهن المتكلم، حيث حينما يرى المتكلم شيئاً ما (مثلاً: شرب الولدُ الحليبَ)، سيبدأ بتفكير عن هذا الشيء في ذهنه. هنا، بدأت العملية **التوليد**، أي: القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل. وبمساعدة القواعد التوليدية الكامنة في دماغ المتكلم، سيقوم المتكلم بإنتاج الجملة التوليدية، أي: الجملة المكونة من عدد من الكلمات الرئيسة فيها، دون نقص أو زيادة. وتكون هذه الجملة متولدة على شكل العميق (أي: البنية العميقة) لأنها موجودة في الذهن.

وبعبارة أخرى، الجملة التوليدية هنا تمثل البنية العميقة ذات المعنى المحدد، وقد تحوّل منها عدد من الجمل التحويلية عبر القواعد التحويلية، وهي: أ. الولد شرب الحليب، ب. الحليب شربه الولد، ج. لقد شرب الولد الحليب. وفي الأخير، سيختار المتكلم جملةً واحدةً من هذه الجمل التحويلية، وتعرف هذه الجملة المختارة بالبنية السطحية لأنها البنية الظاهرية وتظهر نتيجة تحويل البنية العميقة. ومن هنا، يمكن

الاستخلاص أن البنيتي (العميقة والسطحية) نتيجتان للمكون التركيبي في النظرية التوليدية التحويلية التي اقترحها تشومسكي، إذ تنتج البنية العميقة عن المكون الأساسي التوليدي، وتنتج البينة السطحية عن المكون التحويلي.

ولكن، في بعض من الأحيان، الجملة المنتجة في مستوى السطح يمكن أن تكون توليدية لا تحويلية إذا كانت تلك الجملة تتكون الحد الأدنى من الكلمات التي تحمل معنى يمكن الاكتفاء به والوقوف عنده. وبعبارة آخرى، الجملة في البنية العميقة ستبقى كما هي في شكل السطح.

ثالثاً: أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبنية السطحية

لقد تبين لنا سابقاً أن هناك علاقة بين التوليد والبنية العميقة، وأيضا بين التحويل والبنية السطحية. وفي هذا الصدد سنعرض أوجه التشابه والاختلاف بين التوليد والبنية العميقة من جانب، والتحويل والبنية السطحية من جانب آخر، وهذا لكي نربط بين هذه المصطلحات الأساسية في النظرية التوليدية التحويلية.

1. **أوجه التشابه بين التوليد والبنية العميقة**

- ارتباط مصطلح التوليد والبنية العميقة بالكفاية اللغوية (Competence)؛ حيث يقول ميشال زكريا: "وعملية الإنتاج هذه منوطة، في الأساس، بالقواعد التوليدية القائمة ضمن الكفاية اللغوية، والتي تؤدي في حال العمل بها إلى إنتاج الجمل التي بالإمكان استعمالها في اللغة أو إلى تعدادها" (زكريا، 1986أ، ص13)؛ ومن هنا، يمكن أن نعتبر أن التوليد، أي: القواعد التوليدية هي الوجه الأخر المقابل للكفاية اللغوية نظراً إلى ارتباطهما بقدرة معينة في ذهن المتكلم. وحينما نتحدث عن الأشياء التي تقع في ذهن المتكلم، فلا بد علينا التحدث عن البنية العميقة؛ فالبنية العميقة هي: التركيب الباطني المجرد، الموجود في ذهن المتكلم وجوداً فطرياً، وهي أول مرحلة من عملية الإنتاج الدلالي للجملة (العلوي، 2004، ص52-53)؛ وهي بهذا المكون الأساسي والأول لجهاز توليد الجمل في النظرية التوليدية في لغة ما ويكون ذلك على المستوى الدلالي. ومن هنا، نجد أن التوليد والبنية العميقة كلاهما مرتبط بالكفاية اللغوية، أي: القدرة على إنتاج عدد هائل من الجمل، وهذه القدرة قد تكون في ذهن المتكلم.

- ارتباط مصطلح التوليد والبنية العميقة بالعملية التي يجريها المتكلم ضمنياً، أي: تكون في ذهن المتكلم.
- اعتبار الجملة في بينتها العميقة توليديةً إذا تتوافر فيها أربع صفات (كما ذكرنا سابقاً).
- إنَّ الجملة التوليدية والبنية العميقة خاصة للجملة النواة؛ أي: الجملة الأساسية، البسيطة، التامة، الصريحة، الإيجابية، المبنية للمعلوم.
- إنَّ الجملة التي تكون على حالة توليدية وفي بنية عميقة خالية من كل ضروت التحويل؛ أي: الجملة التي لم تكن فيها أي تحويلات جوازية.

2. أوجه الاختلاف بين التوليد والبنية العميقة

- إنَّ الجملة التوليدية غير مختصة للبنية العميقة، حيث نجد أن الجملة "الطقس معتدل" في المستوى العميق جملة توليدية؛ في حين عندما تقول أو تكتب: "الطقس معتدل"، فالمعنى هو: طقس + تعريف + وصف إخباري "معتدل"، وتكون هذه هي البنية العميقة، أما الجملة "الطقس معتدل" المنطوقة أو المكتوبة فإنها بنية سطحية وهي توليدية باعتبارها أساساً لكل ما يشتق منها. ومن هنا، نجد أن الجملة التوليدية يمكن أن تكون في البنية العميقة وكذلك البنية السطحية.

سنعرض الآن أوجه التشابه والاختلاف بين والتحويل والبنية السطحية في النظرية التوليدية التحويلية.

1. أوجه التشابه بين التحويل والبنية السطحية

- ارتباط مصطلح التحويل والبنية السطحية بالأداء اللغوي (Performance)، حيث نجد أن هناك علاقة بين هذه المصطلحات الثلاثة بالمستوى الصوتي، أي: تسمى الجملة التي تحوّلت وفق قواعد معينة بالجملة التحويلية، وستكون هذه الجملة على الشكل الخارجي الصوتي، والبنية السطحية هي الشكل الخارجي للكلام ممثلة بذلك لمستوى الصوتي للغة سواء أكانت منطوقة أو مكتوبة، والأداء اللغوي قد يعتبره تشومسكي بأنه تلك الأصوات التي يطلقها المتكلم الفعل. ومن

هنا، نجد أن الجملة التحويلية والبنية السطحية كلاهما مرتبط بالأداء اللغوي، أي: تكون على الشكل الخارجي الصوتي (الآلي).

- ارتباط الجملة التحويلية والبنية السطحية بالقواعد التحويلية؛ حيث نجد أن الجملة التحويلية هي الجملة المحولة وفق قواعد معينة، يجدها تشومسكي قواعد قادرة على وصف اللغة وتفسير معطياتها، والبنية السطحية هي التركيب الذي تظهر به الجملة بعد تطبيق بعض القواعد التحويلية على تركيبها الباطني. ومن هنا، نجد أن الجملة التحويلية والبنية السطحية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالقواعد التحويلية.

2. أوجه الاختلاف بين التحويل والبنية السطحية

- إنَّ التحويل عند تشومسكي هو مقاربة نظرية لعملية يتم بموجبها الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية، في حين أن البنية السطحية هي البنية النهائية الظاهرية المستخدمة في سياق ما في سلسلة أفقية من الكلمات. ومن هنا، نجد أن التحويل قد يقع ما بين المرحلة العقلية والمرحلة الملموسة، أما البنية السطحية هي البنية النهائية التي تقع في المرحلة الملموسة كتابياً أو نطقياً.
- إنَّ الجملة المنتجة في البنية السطحية قد تكون تحويلية في العادة، ولكن في بعض الأحيان، الجملة المنتجة ستكون توليدية لا تحويلية إذا كانت الجملة في المستوى العميق جملة بسيطة، وذلك لأن القواعد التحويلية لا تستطيع أن تطبق، فالتحويل لن يحدث. إذن، الجملة المنتجة في البنية السطحية ستبقى كما هي، وتسمى هذه الجملة بالجملة التوليدية وليست التحويلية.

رابعاً: تطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة

إذا كُنّا نُشير إلى النظرية التوليدية التحويلية التي قدّمها تشومسكي، نجد أن الجملة تتحول من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية حسب قواعد التحويل؛ حيث يرى تشومسكي أن كل جملة مكونة من مستويين – البنية العميقة والبنية السطحية، وتحتوي في هذه الجملة البنية العميقة على الوحدات المعجمية المتولدة

عن طريق المكوّن الأساسي وتتحول من ثم إلى تراكيب سطحية حسب قواعد التحويل (الحذف والزيادة والتقديم والتأخير... إلخ) (علي، 2020).

وفي هذا الصدد، سنقوم بتطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة، وذلك لشهرتها ومعروفتها عند المسلمين وخاصة متعلمي اللغة العربية. وتعتبر سورة الفاتحة من أفضل وأعظم سور القرآن الكريم، وهي أول سور القرآن الكريم ترتيباً لا تنزيلاً، وعدد آياتها سبع مع البسلمة، وموقعها في الجزء الأول، من الحزب الأول، في الربع الأول، ونزلت بعد سورة المدثر، وتبدأ بالحمد والثناء، ولم يذكر لفظ الجلالة الله إلاَّ مرة واحدة في الآية الأولى.

تطبيق البنية العميقة والبنية السطحية في سورة الفاتحة:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة، 1/1].

هذه الآية تعني: "أبدأ بتسمية الله وذكره قبل كل شيء، مستعيناً به جلَّ وعلا في جميع أموري، طالباً منه وحده العون، فإن الرب المعبود ذو الفضل والجود، واسع الرحمة كثير التفقل والإحسان، الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمّ فضله جميع الأنام" (الصابوني، د.ت، ج1، ص23).

تبدأ هذه الآية بحرف (الباء)، والباء في اللغة يفيد معاني كثيرة، فالباء هنا يمكن أن يفيد معنى الاستعانة أو المصاحبة؛ **الأول: الباء الاستعانة**، وهي الداخلة على آلة الفعل (الطيب، 1988)؛ وأصل الجملة التوليدية في مستوى البنية العميقة لهذه الآية: [أستعين باسم الله]. وتتكون هذه الجملة من فعل لازم متعد بحرف + اسم مرفوع على شكل ضمير متكلم (أستعين) + شبه جملة (باسم الله) = فعل + فاعل + الجار والمجرور. فهي جملة توليدية فعلية، والجار والمجرور (باسم الله) متعلّقان بالفعل (أستعين).

ثم، تحوّلت الجملة بالحذف. وتقدم أن الحذف لا بد أن يكون لدليل، ودليل الحذف لهذه الجملة قد يكون اللفظ نفسه، فاللفظ يدل على أن فيه حذفاً؛ لأن حرف الجر (الباء) لا بد له من متعلق. وقد حذفت الجملة الفعلية (أستعين) لوجود اللفظ نفسه (بـ)، فصارت: [بسم الله]، أي: فعل محذوف + فاعل محذوف (~~أستعين~~) + الجار والمجرور (بسم الله).

والثاني: الباء المصاحبة (الطيب، 1988)؛ فأصل الجملة التوليدية في مستوى البنية العميقة لهذه الآية: [ابتدائي باسم الله]. وتتكون هذه الجملة من اسم معرفة (ابتدائي) + شبه جملة (باسم الله) = مبتدأ + خبر.

ثم، تحوّلت الجملة بحذف المبتدأ لوجود اللفظ نفسه (بـ)، فصارت: [بسم الله]، أي: مبتدأ محذوف (ابتدائي) + خبر (بسم الله). فهي جملة اسمية محولة بحذف المبتدأ، وترمز الجملة إلى المعنى الكامن في ذهن المتكلم.

وقد تحولت الآية مرة أخرى بالزيادة، وذلك بزيادة قيد التفصيل بعد الإجمال بإتيان النعت (الرحمن الرحيم) من (الله)؛ فصارت أخيراً: [بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ]، أي: خبر بمبتدأ محذوف (بسم الله) + نعتان للفظ الجلالة (الرحمن الرحيم).

ومن هنا نجد أن الجملة (أستعين باسم الله / ابتدائي باسم الله) محوّلة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية حسب قواعد التحويل بالحذف والزيادة، وصارت الجملة المنتجة (بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ). ويمكن الاعتبار أن هذه الجملة مختارة لتكون بنية سطحية لهذه الآية.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة، 2/1].

(الحمد لله): تعني كلمة "الحمد" بالثناء على الجميل من النعمة أو غيرها مع المحبة والإجلال، فالحمد أن تذكر محاسن الغير، سواء كان ذلك الثناء على الصفة من صفاته الذاتية كالصبر، أم على عطائه وتفضله على الآخرين؛ والحمد لا يكون إلاَّ للحي العاقل؛ وأيضاً، الحمد لا يكون إلاَّ بعد الإحسان، فالحمد يكون لما هو حاصل من المحاسن في الصفات أو الفعل فلا يحمد من ليس في صفاته ما يستحق الحمد؛ وبذا علمنا من قوله: **الحمد لله** أن الله حي له الصفات الحسنى والفعل الجميل فحمدناه على صفاته وعلى فعله وإنعامه (السامرائي، 2003).

فكلمة (الحمدُ) قد ارتفعت بالابتداء، وخبره الظرف الذي هو (الله)، وأصله النصب على المفعولية المطلقة على أنه بدل من فعله، وتقدير الكلام: نحمد حمداً لله، فلذلك التزموا حذف أفعالها معها (ابن عاشور، 1984، ج1، ص156).

فأصل الجملة التوليدية في مستوى البنية العميقة لهذه الآية: [نحمد حمداً لله]. وتتكون هذه الجملة من فعل لازم + اسم مرفوع على شكل ضمير متكلم (نحمد) + المفعول المطلق (حمداً) + شبه جملة (لله) = فعل + فاعل + الجار والمجرور. ثم، تتحول إلى الجملة التحويلية في مستوى البنية السطحية عبر خطوات التحويل الآتية:

- التحويل بحذف الفعل وفاعله لما دل عليهما السياق، فصارت: [حمداً لله]
- التحويل باستبدال علامة النصب بعلامة الرفع لأن الابتداء في الجملة الاسمية يجب أن يكون مرفوعاً، فصارت: [حمدٌ لله]
- التحويل بزيادة (ال) التعريف إلى المبتدأ لأن التعريف هنا يفيد ما لا يفيده التنكير، ذلك أن (ال) قد تكون لتعريف العهد، فيكون المعنى: أن الحمد المعروف بينكم هو الله (السامرائي، 2003)، فصارت: [الحمدُ لله].

أما (رب العالمين): الرب هو المالك والسيد والمربي والمنعم والقيّم، فإذن (رب العالمين) هو ربهم ومالكهم وسيدهم ومربيهم والمنعم عليهم وقيمهم، لذا فهو أولى بالحمد من غيره وذكر (رب العالمين) هي أنسب ما يمكن وضعه بعد الحمد (السامرائي، 2003).

فالتحويل يحدث هنا، وذلك بزيادة كلمة (رب) و(العالمين) بعد جملة مفيدة (الحمد لله). وكلمة (رب) فالمعربون يقولون إنه نعت مجرور، و(العالمين) مضاف إليه مجرور بالياء (الطيب، 1988). فصارت أخيراً: [الحمد لله رب العالمين]، أي: مبتدأ (الحمد) + خبر (لله) + نعت ومضاف إليه (رب العالمين).

ومن هنا نجد أن الجملة (نحمد حمداً لله) محوّلة من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية حسب عنصر الحذف، والاستبدال، والزيادة، وصارت الجملة المنتجة (الحمد لله رب العالمين). ويمكن الاعتبار أن هذه الجملة مختارة لتكون بنية سطحية لهذه الآية.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ . مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة، 1/3-4].

(الرحمن الرحيم) أي: "الذي وسعت رحمته كل شيء، وعمّ فضله جميع الأنام، بما أنعم على عباده من الخلق والرزق والهداية إلى سعادة الدارين، فهو الرب الجليل عظيم الرحمة دائم الإحسان؛ (مالك يوم الدين) أي: هو سبحانه المالك للجزاء والحساب، المتصرف في يوم الدين تصرّف المالك في ملكه" (الصابوني، د.ت، ج1، ص25).

وإذا رجعنا إلى الآية الثانية من هذه السورة، نلاحظ أن قوله تعالى: (الحمدُ للهِ ربِّ العالمين) الحمدُ مبتدأ ولفظ الجلالة خبره، و(ربِّ العالمين) صفة، ومثله (الرحمنِ الرحيمِ) و (مالكِ يومِ الدين) كلها صفات لاسم الجلالة (الله). فترتبط الآيات الثانية، والثالثة، والرابعة من سورة الفاتحة ببعضها البعض. وبعبارة أخرى، هذه الآيات غير مستقلة بذاتها، وهي متكاملة فيما بينها.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة، 1/5].

أي: "نخصّك يا الله بالعبادة، ونخصك بطلب الإعانة، فلا نعبد أحداً سواك، لك وحدك نذلُّ ونخضع ونستكين ونخشع، وإياك ربنا نستعين على طاعتك ومرضاتك، فإنك المستحق لكل إجلال وتعظيم، ولا يملك القدرة على عوننا أحدٌ سواك" (الصابوني، د.ت، ج1، 25-26).

وطرأ على الجملة تحويل بالتقديم، فتقدم المفعول به على الفعل، ثم بالزيادة؛ وذلك لإفادة الاختصاص والقصر؛ حيث تم نقلها إلى مستوى دلالي خاص يوافق أسلوب القصر الذي يتطلب نقل الاسم عن طريق التفكيك إلى اليمين، ولما كان ذلك يتولد عنه عدم إمكانية استقلال الضمير المتصل بذاته تحتم تحويله إجبارياً إلى قبيله وهو الضمير المنفصل "إياك" استجابة لقاعدة نحوية قديمة مفادها أن الجملة الفعلية (المصدرة بفعل) التي يكون المفعول به فيها ضميراً متصلاً، حين يراد أن يقصر الحديث عليه دون غيره، فإن هذا الضمير المتصل يتحول إلى ضمير منفصل يقدم إجبارياً على عامله (الغريسي، 2020). وبعبارة أخرى، تقديم المفعول به على الفعل للاختصاص، لأنه سبحانه وتعالى وحده له العبادة

لذا لم يقل (نعبدك) لأنها لا تدل على التخصيص بالعبادة لله تعالى، أما قول (إياك نعبد) فتعني تخصيص العبادة لله تعالى وحده (السامرائي، 2003).

ويمكن تمثيل التحويل على النحو الآتي:

- إنَّ أصل الجملة التوليدية في مستوى البنية العميقة لهذه الآية: [نعبدك]. وتتكون هذه الجملة من فعل متعد + اسم مرفوع على شكل ضمير متكلم (نعبد) + اسم منصوب على شكل ضمير متصل (ك) = فعل + فاعل + مفعول به؛ فهي جملة توليدية فعلية.
- التحويل بتقديم المفعول به على الفعل لإفادة الاختصاص والقصر، فصارت [ك(أنت) نعبد]، أي: مفعول به (ك) + فعل + فاعل (نعبد).
- التحويل بالزيادة، حيث يتحول الضمير المتصل (ك) إلى ضمير منفصل (إياك) يقدم إجبارياً على عامله، فصارت أخيراً: [إياك نعبد]، أي: مفعول به (إياك) + فعل + فاعل (نعبد).

وقد تحوّلت الجملة [إياك نستعين] مثل [إياك نعبد]؛ فأصل الجملة التوليدية: [نستعينك]، وتحولّت الجملة، فصارت: [إياك نستعين] وذلك للتخصيص، أي: تخصيص الاستعانة لله تعالى.

ومن هنا، نجد أن هذه الجملة (نعبدك ونستعينك) تتحول من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية حسب قاعدة التقديم والتأخير، والزيادة، وذلك بتقديم المفعول به على الفعل وجوباً، وزيادة ضمير منفصل (إيا). وتكون الجملة (إياك نعبد وإياك نستعين) - في نظرية تشومسكي - التي كانت أصلها توليدية تصبح تحويلية، عند دخول نوع من القواعد التحويلية: التقديم والتأخير، والزيادة، وإنها بنية سطحية.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ . صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة، 6/1-7].

(اهدنا الصراط المستقيم) أي: "دلنا وأرشدنا يا رب إلى طريقك الحق ودينك المستقيم، وثبتنا على الإسلام الذي بعثث به أنبياءك، ورسلك، وأرسلت به خاتم المرسلين، واجعلنا ممن سلك طريق المقربين" (الصابوني، د.ت، ج1، ص26).

إنَّ (المستقيم) نعت للصراط، ويمكن تحليل عمليات التحويل التي مرّت بها الجملة بالرسم الآتي:

- أصل الجملة في مستوى البنية العميقة لهذه الآية: [اهدنا الصراط الذي يَستقيمُ]
- التحويل باستبدال (الذي) بـ (ال) الموصولة؛ فصارت: [اهدنا الصراط ال يَستقيمُ]
- التحويل باستبدال الفعل (يستقيم) بالفعل المشتق؛ فصارت أخيراً: [اهدنا الصراطَ المستقيمَ].

وقد أشار النحاة إلى أن الصفة لا تكون إلاَّ بمشتق مأخوذ من الفعل لفظاً أو تأويلاً، مثل: اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة، باعتبارها مُتحوَّلة من الفعل. ومن هنا، إذا كُنّا نُشير إلى النظرية التوليدية التحويلية التي قدّمها تشومسكي، نجد أن هذه الجملة (اهدنا الصراط المستقيم) تتحول من بنيتها العميقة إلى البنية السطحية حسب قاعدة الاستبدال.

أما (صراط الذين أنعمت عليهم) تعني: "طريق من تفضّلت عليهم بالجود والإنعام، من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولئك رفيقاً؛ (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) أي: لا تجعلنا يا الله من زمرة أعدائك الحائدين عن الصراط المستقيم، السالكين غير المنهج القويم، من اليهود المغضوب عليهم أو النصارى الضالين، الذين ضلوا عن شريعتك القدسية، فاستحقوا الغضب واللعنة الأبدية" (الصابوني، د.ت، ج1، ص26).

فالجملة (صراط الذين أنعمت عليهم) بدل من (الصراط المستقيم) المذكورة سابقاً، كأنه قيل: (اهدنا الصراط المستقيم) اهدنا (صراط الذين أنعمت عليم) (الزمخشري، 2009). والصراط في الآية السادسة من هذه السورة هو صراط واحد مفرد لأنه هو طريق الإسلام، ثم زاد هذا الصراط توضيحاً وبياناً بعد وصفه بالاستقامة وتعريفه بأل بقول: (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) جمعت هذه الآية كل أصناف الخلق المكلفين ولم تستثني منهم أحداً فذكر (السامرائي، 2003):

- الذين انعم الله عليهم هم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفوا الحق وعملوا بمقتضاه.
- الذين عرفوا الحق وخالفوه (المغضوب عليهم) ويقول قسم من المفسرين أنهم العصاة.
- الذين لم يعرفوا الحق وهم الضالين، ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾ [الكهف، 103/18-104]، هذا الحسبان لا ينفعهم إنما هم من الأخسرين. ولا يخرج المكلفون عن هذه الأصناف الثلاثة، فكل الخلق ينتمي لواحد من هذه الأصناف.

ومن هنا، نجد أن الآية السابعة من سورة الفاتحة توضيحاً ومتكاملةً للآية التي جائت قبلها. وبعبارة أخرى، هذه الآية غير مستقلة بذاتها، وهي مرتبطة ببعضها البعض.

وقد تضمنت سورة الفاتحة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله (الحمد لله رب العالمين)، واليوم الآخر (مالك يوم الدين)، والملائكة والرسل والكتب (اهدنا الصراط المستقيم) لما تقتضيه من إرسال الرسل الكتب. وهذه السورة أيضاً قد جمعت توحيد الربوبية (رب العالمين)، وتوحيد الألوهية (إياك نعبد وإياك نستعين) (السامرائي، 2003). وقد افتتحت سورة الفاتحة بالمدح، حيث تضمنت الآية 1-5 المدح لله تعلى، واختتمت هذه السورة بالطلب، حيث تحدثت الآية 6 و7 طلب الهداية إلى الصراط المستقيم.

والخلاصة، تجدر بنا الإشارة إلى أن البنية العميقة والسطحية ملحوظتان في آيات القرآن الكريم. كما أنهما متواجدتان في شتى اللغات البشرية. ولا يعني بذلك أن الآيات القرآنية تتعرض على محاولة تعديلها وتحريفها كما كانت تحدث في الكتب السماوية الأخرى. وأما القرآن الكريم بوصفه كلام الله المحمي من لدنه فيحفظه من الطعن، والإعوجاج، والتحريف، ومن كل محاولة منوطة بها طبقاً لقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر، 9/15].

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى ما يأتي:

1. تعتبر النظرية التوليدية التحويلية طريقة حديثة لبناء الجمل عند تشومسكي، وبنيتهما العميقة والسطحية تدور حول تحليل هذه الجمل.
2. ترتبط البنية العميقة بالتوليد، حيث تشكل البنية العميقة الشكل الداخلي التفكيري للكلام، والتوليد هي العملية التي تقع في الداخل؛ أي: عقل المتكلم. أما البنية السطحية فلها علاقة بالتحويل؛ حيث تظهر البنية السطحية نتيجة تحويل البنية العميقة، والتحويل هي العملية التي تسمح بتحويل الجملة الجمل الأصولية التي تعبر عن البنية العميقة، إلى البنية السطحية.

3. تعتبر البنيتان العميقة والسطحية نتيجتَيْن للمكون التركيبي في شكل النظرية التوليدية التحويلية التي قدّمها تشومسكي، إذ تنتج البنية العميقة عن المكون الأساسي التوليدي، وتنتج البنية السطحية عن المكون التحويلي.
4. هناك أوجه تشابه واختلاف بين التوليد والبنية العميقة، والتحويل والبنية السطحية.
5. يمكن تطبيق النظرية التوليدية التحويلية في الآيات القرآنية حتى نقطة معينة، وذلك لوجود عناصر التحويل في بعض الآيات القرآنية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المراجع العربية

أحمد عمايرة، خليل. (1984م). **في نحو اللغة وتراكيبها: منهج وتطبيق** (د.ط). جدة: عالم المعرفة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور. (1984م). **تفسير التحرير والتنوير** (د.ط). تونس: الدار التونسية للنشر.

استيتية، سمير شريف. (2008م). **اللسانيات: المجال، والوظيفة، والمنهج** (ط2). إربد: عالم الكتب الحديث.

بوقرة، نعمان. (2004م). **المدارس اللسانية المعاصرة** (د.ط). القاهرة: مكتبة الآداب.

جوناييير، فيليب. (2005م). **نحو فهم عميق للكفايات: الكفايات والسوسيوبنائية**، ترجمة: عبد الكريم غريب وعز الدين الخطابي. الدار البيضاء: منشورات عالم التربية.

حساني، أحمد. (1999م). **مباحث في اللسانيات: مبحث صوتي – مبحث تركيبي – مبحث دلالي** (د.ط). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

خاليد، حسني. (د.ت). **مدخل إلى اللسانيات المعاصرة** (د.ط). فاس: مطبعة آنفو – برانت.

الخولي، محمد علي. (1991م). **معجم علم اللغة النظري** (ط2). بيروت: مكتبة لبنان.

زكريا، ميشال. (1986م أ). **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية :الجملة البسيطة** (ط2). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.

زكريا، ميشال. (1986م ب). **الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية :النظرية الألسنية** (ط2). بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (2009م). **تفسير الكشاف** (ط3). بيروت: دار المعرفة.

السامرائي، فاضل صالح. (2003م). **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل** (ط3). عمان: دار عمار.

الصابوني، محمد علي. (د.ت). **صفوة التفاسير** (ط10). القاهرة: دار الصابوني.

الطيب، عبد الجواد. (1988م). **الإعراب الكامل لآيات القرآن الكريم** (د.ط). القاهرة: مكتبة الآداب.

عبابنة، يحيى والزعبي آمنة. (2019م). **اللسانيات المعاصرة: المقدمات والتطبيقات والمناهج** (د.ط). عمان: دار الكتاب الثقافي.

العلوي، شفيقة. (2004م). **محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة** (ط1). بيروت: أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع.

علي، عاصم شحادة. (2020م). **مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى** (ط2). ماليزيا: IIUM Press.

فاخوري، عادل. (1998م). **اللسانية التوليدية التحويلية** (ط2). بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

النجار، نادية رمضان. (د.ت). **اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين** (د.ط). الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر.

المجلات الدوريات

حسنين، صلاح الدين صالح. (1987م). **المنهج التوليدي والقياس** (مجلة الفيصل، شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، المجلد 124، العدد 11).

زكريا، عبدالوهاب ومت صالح، أحمد مجدي. (2007م). **ظاهرة الحذف في ضوء نظرية النحو التوليدي التحويلي: دراسة تحليلية في القرآن الكريم** (مجلة التجديد، الجامعة الإسلامية العالمية، المجلد 11، العدد 22).

سالم، محمد يزيد. (2019م). **بنية الجملة العربية في الكتابات اللسانية التوليدية التحويلية المعاصرة كتابات عبد القادر الفاسي الفهري أنموذجا** (مجلة دراسات معاصرة، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 3، العدد 1).

السعدية، نعيمة. (2011م). **الجملة في الدراسات اللسانية** (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، المجلد 4، العدد 9).

الغريسي، محمد. (2020م). **بنية الجملة في اللغة العربية وهندستها: من التركيب الظاهر إلى التركيب الخفي: مقاربة توليدية لنماذج من الجمل في القرآن الكريم** (مجلة افاق للعلوم، جامعة زيان عاشور، المجلد 5، العدد 2).

الرسائل الجامعية

أديبولو، إبراهيم عبد السلام. (1995م). **سورة الحج: دراسة نحوية وصرفية** (رسالة ماجستير، السعودية: جامعة أم القرى).

بوعمامة، محمد. (1989م). **أصول النظرية التوليدية التحويلية والنحو العربي** (رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة عين شمس).

سيراغار، البروني. (2022م). **المفعول المطلق ودلالته في القرآن الكريم: دراسة نحوية دلالية قي سورة الواقعة** (رسالة ماجستير، رياو: جامعة السلطان الشريف قاسم الإسلامية الحكومية).

العاني، معمر. (2004م). **سورة الكهف: دراسة نحوية وصرفية** (رسالة ماجستير، العراق: جامعة بغداد).

المراجع الأجنبية

Baker, C. L. (1978). *Introduction to Generative Transformational Syntax.* USA: Prentice-Hall Inc. Englewood Clifits.

Noam, Chomsky. (2002). *Syntactic Structures*. New York: Mouton de Gruyter.

الموقع الإلكتروني

العربي، ربيعة. (2018م). **نظرية الأنحاء التوليدية التحويلية: النشأة والتطور** https://bilarabiya.net/